في ذاكرة الزمان والمكان (2)

طاقية من اللد

روضة الفرخ الهدهد



في ذاكرة الزمان والمكان (2)

طاقية من الله

الكاتبة

روضة الفرخ الهدهد

رسوم الفنان : عبد الرؤوف شمعون

دقق النص : الكاتب محمد عواد

إهداء

إلى عائلـة خالتـي المرحومـة بكريـة وجدتهـم أم محمـود الذيـن عانـوا في هجرتهـم القسرية بالمشي من اللد إلى رام الله وقراها في ظروفٍ أصعب من الخيال ..

إلى كل مـن قـاسى بهجرتـه القسريـة مـن مـدن فلسـطين وقراهـا . إليهـم أقـول : سـجّلوا تاريخكـم ، فالتاريـخ الشـفوي هـو مـا يحفـظ لهـذه القضيـة تاريخهـا وعدالتها وظلم أعدائها.

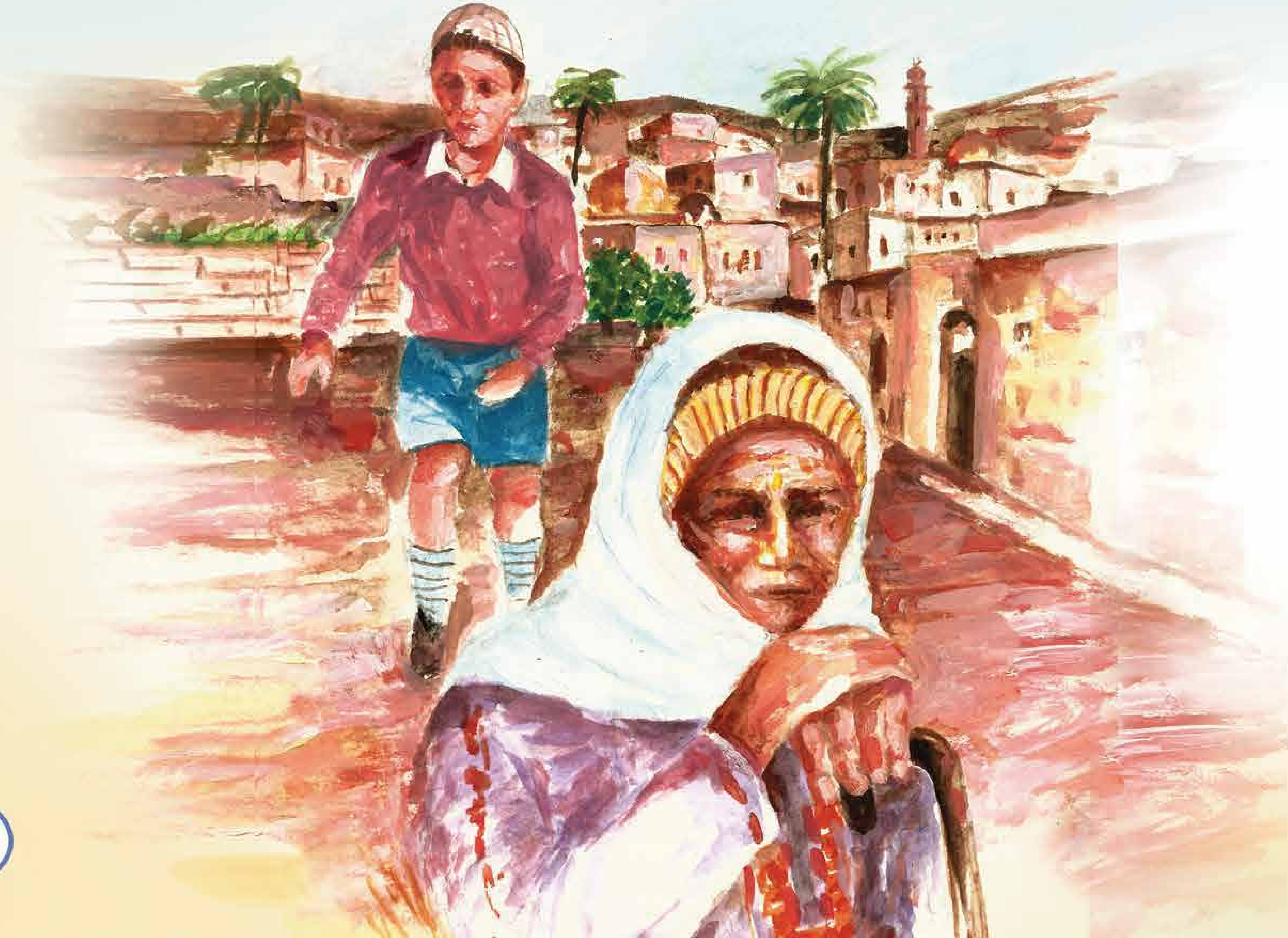


بسم الله الرحمن الرحيم

لا يضعُ يوسـفُ طاقيّـةً عـلى رأسِـهِ ، إلّا ويتَذكّـرُ قصّـة طاقيّـة جدّتِـهِ أم مَحمُـود الشـهيرةِ .. ومـع أنّ يوسـفَ لم يـرَ جَدتـهُ أم محمـود ولا طاقيّتِهـا ، إلا أنّ قصـةَ هـذهِ الطّاقيّـة كانـت أهـم قصـةٍ في حيـاةِ عائلتهِ على مدى سنينَ عديدةٍ .

في ذلـك النهـارِ البعيـدِ ، وفي مدينـةِ اللّـدِ ، كانـت أصـواتُ القنابـلِ والرّصـاصِ تمـلأُ الأجـواءَ، وكان النـاسُ يتوقعـونَ قيـامَ معركـةٍ ضـدّ المسـلحينَ اليهـودِ الذيـنَ يُهاجمـونَ المدينـةً، ولكـنَّ أحـداً لمْ يتوقـع أن يدخـلَ المسـلّحون اليهـود هـذه المدينـةَ وينـادوا بالمكـبّراتِ عـلى سُـكانِها حتـى يَخرجُـوا مـن بُيوتِهـم ويُغادِروا المدينَةَ حالاً وفوراً !!.

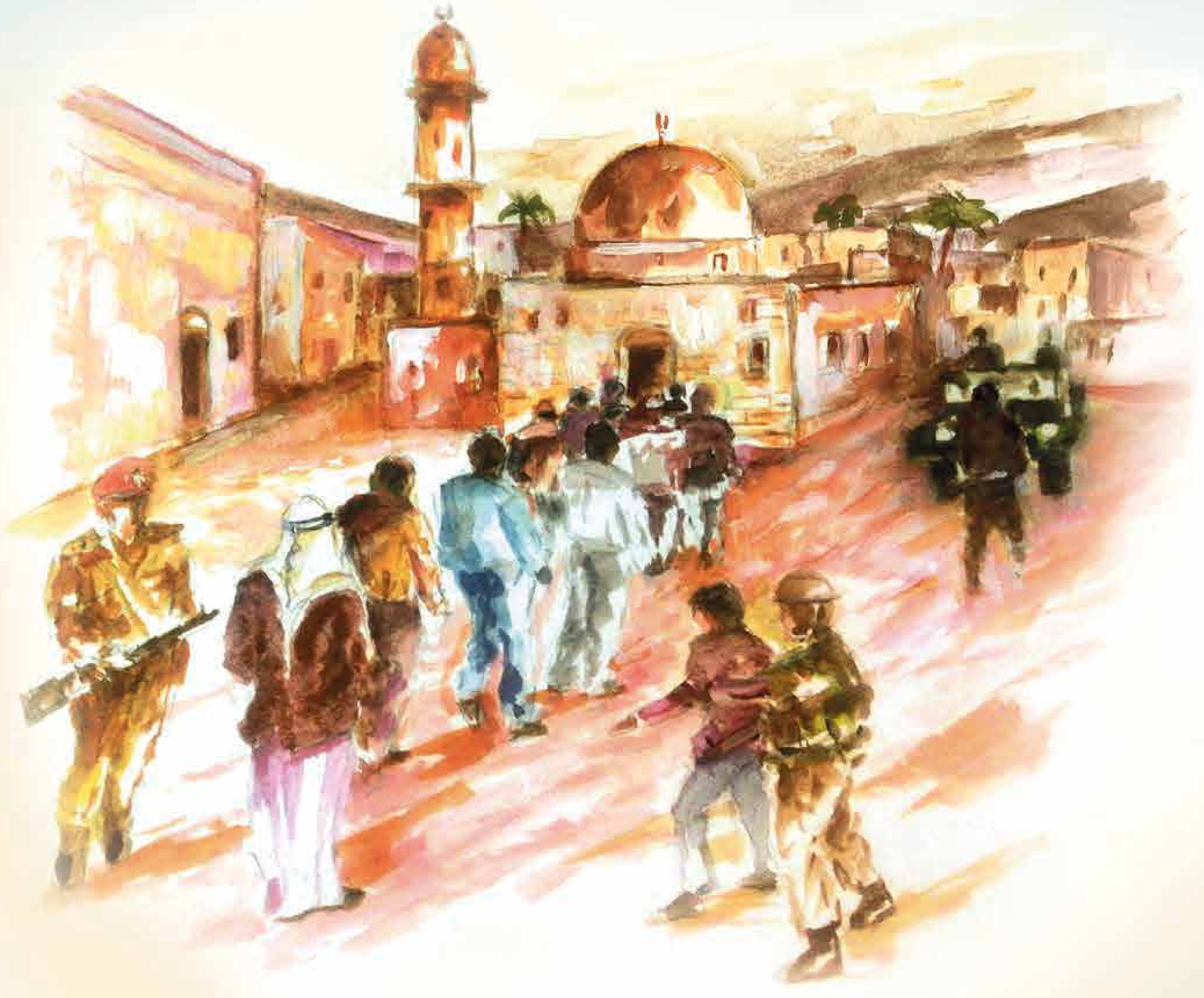
كانَ نظـرُ أم محمـود ضعيفـاً ، فهـيَ تبحـثُ عـن أشـيائها بيديْهـا أكـثرَ مـن عيْنيهـا .. في ذلـك اليـوم وقـد ازدادَ اضطرابهـا مـن أصـواتِ القنابـلِ ومكّـبراتِ الصـوتِ ، وأصـواتِ الجـيرانِ وقـدْ بَـدأوا الخـروجَ مـن بُيوتِهـم ، أخـذت تبحـثُ عـنْ طاقيّتهـا التـي وضَعتهـا تحـتَ فِراشِـها .. فلـمّا وجدَتهـا ، وضعَتْهـا على خصرِها تحت ملابِسِها .



كانـتْ يداهـا ترتجِفـان وهـي تربُـطُ الطاقيـةً علـى خصرِهـا وكانـت فاطمـةُ زوجـة ابنهـا تـصرخُ عـلى أبنائهـا للخـروجِ مـن غرفتِهـم حسـب الأوامـرِ ، وعندمـا بـدأ الـدقُّ عـلى البابِ بعنفٍ ، وقفَ الجميعُ لا يعرفونَ ماذا يفعلونَ !!.

في أقلّ مـن سـاعةٍ في ذلـكَ النهـارَ البعِيـد ، كانَ كلُّ مَـنْ في المَدينَـةِ قـد خـرجَ إلى الشّـوارعِ المُحيطـةِ ببيوتهـم .. حيـثُ أمـر الجيـشُ الإسرائيـلي الرّجـال أنْ يتّجهـواإلى الجامـعِ ليتجمّعـوا هنـاك ، وأمـا النسـاء والأطفـال فقـد أمرَهـم المسـلّحونَ اليهـود أن يتجّهـوا شرقـاً ، خارجَ المدينةِ !!

أم محمـود وزوجـةُ ابنهـا فاطمـةُ ، والأولادُ والبنـاتُ ، والجـيرانُ مـن النسـاءِ والأطفـالِ اتجهـوا شرقـاً خـارجَ المدينـةِ ، بينـمَا مَحمـود والرجـال مـن الجـيرانِ فقـد اتِّجهـوا للجامـعِ، كلُّ حسـبَ التعليـماتِ والأوامـرِ !! وبازديـادِ اطـلاقِ الرَّصـاصِ خَلفَهُـم ، تسـارَعَ النـاسُ بالمشيِ وكلَّما تباطأٌ فردٌ، دفعَهُ المسلّحُ الإسرائيليّ ببندقيتِهِ لعدمِ التوقّفِ أبداً .



مـشى العـشراتُ بـل المئـاتُ مـن النّـاسِ لا يَحمِلـونَ شـيئاً مـن حاجاتِهـم أو أكلِهـم أو شُربِهـم ، ومشـت كذلـكَ أمُّ محمـودٍ وجميـعُ أهلِهـا وجيرانِهـا ، وحامَـتْ فـوقَ رؤوسِـهم طائراتٌ إسرائيليةٌ تهدِّدهُم بأزيزِها عَنِ العودَةِ إلى الوراءِ.

بعـدَ أكـثرَ مـن سـاعتيْنِ ، لمْ تَعُـد أم مَحمـود قـادرةً عـلى جـرّ رجليْهـا أورفعهـما عـن الأرضِ.. طلبـتْ شربـةَ مـاءٍ تُبلّـلُ بهـا شـفتاها ، فلـمْ تجِـدْ .. نظـرَتْ حولَهـا فـإذا كِنّتها فاطمـة تجـرُّ هـي الأخـرى رجليْهـا جـرّاً . نظـرَتْ إلى أبنائهـا وأحفادِهـا الصِّبيـانِ والبنـاتِ فـإذا هُـم أيضـاً قـد تَثاقلـتْ خُطاهـم .. شـاهَدَتْ بعـضَ النـاسِ يَحملـونَ أبناءهُـم الصِّغـار عـلى أكتافِهِـم ، ثـمَّ يُنزِلونَهـم ليَمشـوا وهـم يَبكُـونَ .. فـما العمـلُ ؟ ازدادَ ألمُ قدمَيْهـا وقـدْ مـلأَ العـرَقُ جبينَهـا وجسـدَها، شـدّت نفْسَـها ، وأسرَعَـتْ تَلحَـقُ عائلتَهـا ، ولكنّهـا بعـدَ دقائقَ لمْ تستَطِعِ السّيرَ أكثر .. فارتمتْ على قارعَةِ الطَّريقِ ولمْ يلْحظْ أحدٌ غيابَها !



بعدَ دقائـقَ انتبهـتْ فاطمـةَ لفُقـدانِ أمّ زوجِهـا "أم محمـود" ؛ فَصرَخـتْ في ابنِها البِكْـرِ،
أينَ جدَّتَكَ يا حَمدان ؟ اذهبْ وابحَث عَنْها ..!

فعادَ حَمدانُ إلى الوراءِ يَبحثْ عنها .

وصلَ حَمـدانُ جدّتَـهُ فـإذا هـيَ قـدْ أقفَلـتْ عيْنيْهـا ولا تُحـرِّك يـداً أو سـاقاً .. ناداهَـا ، هزَّهـا مِـن كتفيْهـا فلـمْ تهتـزّ.. لمْ يَكُـن أحـدٌ قربَـهُ ، فالجميـعُ سـائرونَ لا يَلتَفِـتُ أحـدٌ منهم إلى الوراءِ . وهوَ لا يَستطيعُ البقاءَ قربَها!!

فَكّـرَ وفكّـرَ وأعـادَ محاولـةَ إيقـاظِ جدَّتِـهِ مِـنْ غَيْبوبَتِهـا أو إغفاءتهـا ، ولكنّهـا لمْ تتحـرّك .. هُنـاكَ وقـدْ مـلأَ الخـوفُ قلبَـهُ أنْ يبـقَ وحيـداً، حـرَّك جسـدَ جدّتِـهِ إلى ظـلِّ شـجرةٍ ، وعايَنَ المكانَ جيّداً ليَحفظَهُ ، وانطلقَ راكِضاً يَلحقُ بوالِدَتِهِ وإخوتِهِ وجُموعِ النّاسِ.



بعدَ حوالي يومٍ وصلَتْ فاطمةَ وأبناؤها إلى قريةٍ صغيرةٍ فيها بعضُ البيوتِ والمَزارعِ . دقّ حمدانُ بابَ أحدِ البيوتِ ، وقدْ شاهدَ في جِوارِهِ"حماراً" ، وفكّر أنْ يطلبَ مِنْ صاحبِ الدّارِ أن يُساعِدَهُ مع حمارِهِ في إحضارِ جدتهِ أمُّ محمود أو حتّى جُثمانها منَ العراءِ.

هُناكَ ، وتحتَ ظِلالِ الشجرَةِ ، وبَعدَ أن ارتاحَ الجسدُ والقدمان ، فتَحَتْ الجدَّةُ أمّ مَحمود عيْنيْها الضّعيفتَيْن وحركتِهما في كلِّ اتجاهٍ ، فلم تُشاهِدْ أحداً حَولَها . قالتْ في نفسِها:

- أين أنا الآن يا تُرى؟ ولماذا أنا هُنا لوَحدي ؟ أينَ ذهبتْ فاطمةُ والأولادُ؟!!

ولمَّا تذكرتْ أصواتَ القنابلِ والرّصاصِ ، وأصواتَ المكبّراتِ الصّوتيّةِ تُنذِرُ أهلَ اللدِّ إن تأخَّروا في الخروجِ من بُيوتِهم ، عادَتْ تقولُ لنفسِها:

- لهذا أخذوا زوجِي وابني ورجالَ مدينةِ اللدِّ إلى " جامِعِ دهمش" ، أخذوهُم ليَقضُوا عليْهِم .. ليقتُلوهُم . لقدْ حاولَ هؤلاءِ الأبطالُ حمايتَنا فلمْ يُفلِحُوا ..

كانتْ عصاباتُ اليهودِ من "الأرغنِ والهاجانا" أقوى منهم وأكثرَ تسليحاً ، فأخَذوهُم إلى جَامعِ دُهمش، وطَردُونا نحنُ النِّساءَ والصبيانَ والأطفالَ، في أقلِّ من ساعةٍ ، طردونا خارجَ بيوتِنا وفِراشِنا وأثاثِنا ومنعونَا حتّى من أكلِنَا وشُربِنا !



ومِن بيْنِ دموعِها الغزيرةِ كانت أمُّ محمود تتَساءلُ :

- تُـرى أيـنَ أنتـم الآنَ يـا فاطمـةُ ويـاحمـدانُ ويـا باقـي الأحفـاد ؟ لمـاذا تَركتُمـونِي هُنـا وحـدي؟ ألا مِن جُرعَةِ ماءٍ يُحضِرُها لي أحَدُكم فأروي ظَمأي ؟

لـو كنـتُ في بَيتـي في اللّـدِّ لشربْـتُ حتـى ارتويـتُ مـن مـاءِ بـئر الزّنْبَـقِ ، أو مِـن مـاءِ بـئر عبـد الرّحمـن بـن عـوف الشـهيرَيْن .. لـو كنـت في بيتـي في اللِّـدِّ لرَكبـتُ القطـارَ إلى أيّـةِ بقعـةٍ أريدهـا في شرقِ البلادِ أو غربها أو شمالِها أو جنوبِها.

وارتفع صوتُها أكثر وهيَ تُحدِّثُ نفسَها غاضِبةً :

- بـل لـو كنـتُ في بيتـي في اللّـد لركبـتُ الطائـرةَ مـن مطـارِ اللّـدِّ .. مطـارِ فلسـطين الـدُّوليِّ الـذي كانَ يصلُ إلى كلِّ بقـاعِ الدُّنيـا.. فلـماذا يـارب أقعـدُ الآن عَطـشى ، جَوعـى ، عـلى هـذِهِ الحجـارةِ القاسيةِ ؟ أينَ أهلي وأولادي وأحفادي ؟ وهل سأموتُ هنا وحيدةً ولا يَدفِن جسدي أحدٌ؟؟.

فجأةً ، وصلَ حمدان إلى حيثُ تركَ جدّتَهُ ، وبدأ بالنداء عليها :

- جدّتي أم محمُود أين أنتِ ؟ هل تسمعِينَني ؟!!



وبعدَ دقائقَ وصلَ صوتُ حمدان إلى الجدَّة ، فنادتْه من بعيد قائلةً :

- ها أنا ذا يا حمدان أسمعُكَ .. تعالَ إليّ ... كنتُ أنتَظِرُكَ ..

هـروَلَ حمـدانُ إلى حيـث رَأى الجـدَّةَ تَجلِـسُ ، وارتمـى في حضنِهـا باكيـاً ، فَرِحـاً، وحمـدَ اللـه عـلى أنْ وجدَهـا عـلى قيـدِ الحيـاةِ . حَمَـلَ حمـدانُ جدّتَـه وأجلسَـها عـلى الحـمارِ ، وعـادَ الإثنـان؛ هـوَ وصاحبُ الدارِ - مشياً على الأقدامِ إلى بيتِ الرجلِ الشَّهمِ .

عندمَـا دخلـتْ أمُّ محمـود إلى الحـمامِ ، فكّـت عـن خصرِهـا الطّاقيّـةَ المربوطـةَ جيـداً . لمْ تكُـن طاقيَّـةً عاديـةً ، بـل كانـت غِطـاءً لرأسِـها وقـد صُفّـت عـلى حوافِـهِ " لـيراتٌ ذهبيّـةٌ " هـيَ كلُّ مـا تملِكُ من والدِها وزوجِها مُنذُ سِنين .

أخرَجـتْ أمُّ محمُـود الطاقيَّـة ، ونظـرتْ إليهـا مُطـوّلاَ .. هـذِهِ اللـيراتُ الذّهبيَّـةُ كانـتْ مـن والـدي هَديَّـةُ زواجِـي ، وتلـكَ هديَّـةُ عمّـي ، وتلـك مـن خَـالي .. أمّـا هـذهِ فهـي مـن تعـبِ زوْجـي رحِمَـهُ اللـه .. كنـتُ أحتفـظُ بـكلِّ هديّـةٍ وكلّ مبلـغٍ مـن المـالِ كيْ أحوِّلَـهُ إلى لـيراتٍ ذهبيّـةٍ أُضِيفُها عـلى طاقيَّتِـي .. ضمَّـتْ أمُّ محمُـودٍ طاقيّتَها عـلى صدرِهَـا ، ثـمَّ أعـادَتْ إخفاءهـا عـلى خصرِهـا قائلـة :

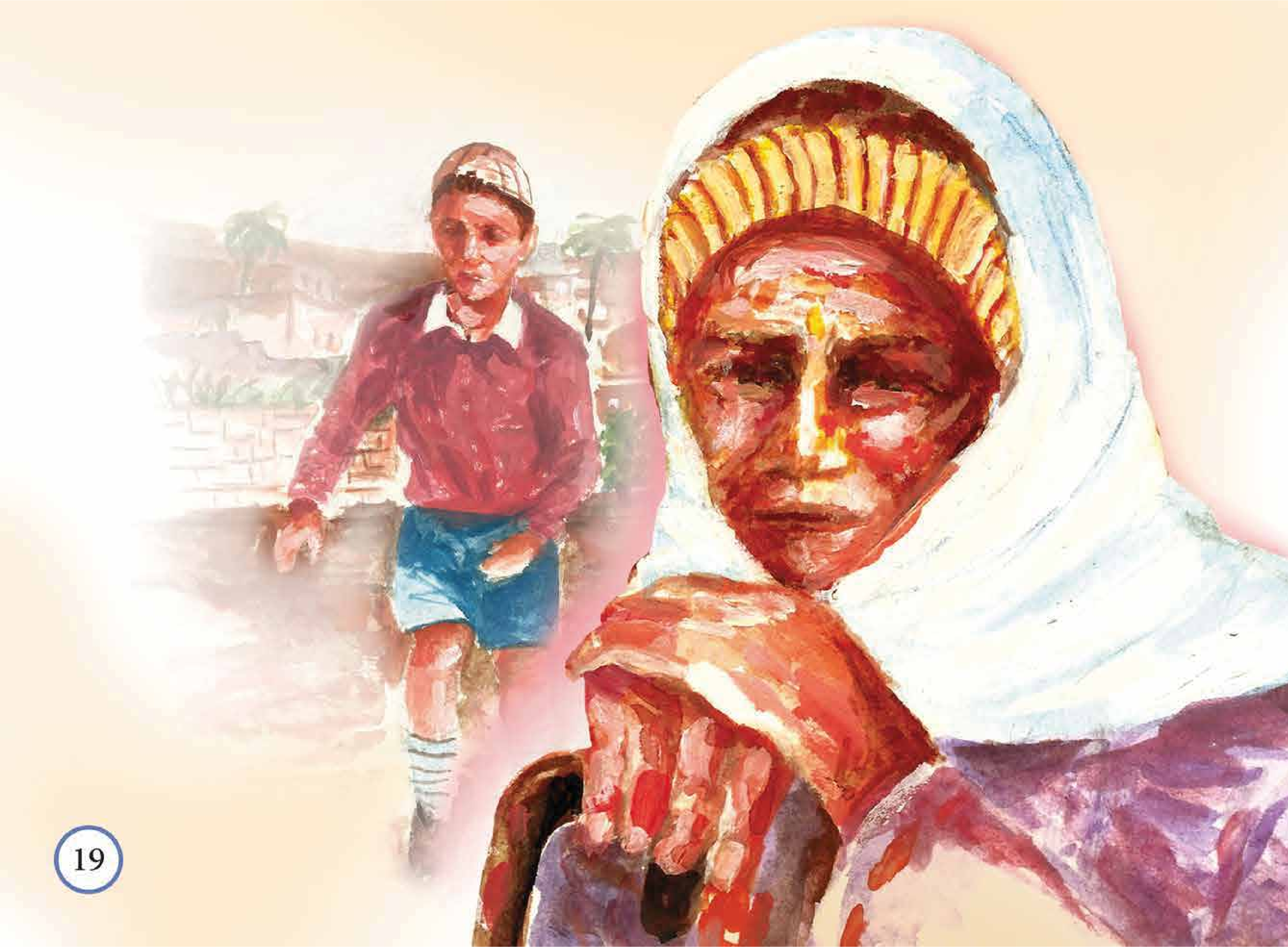
" لا أدري ماذا يُخبِّئُ لنا القدرُ بعدَ أنْ تركْنا بيوتَنا " .



أيامٌ ثمَّ أشهرٌ ، وعائلَة أمُّ محمودٍ تنتظِرُ خَبَراً مِن "اللّد" مِن مَدينتِهم التي تركُوها على استعجَالٍ .. أيّامٌ وأشهرٌ وهم ينتظرون أن يَسمعُوا عنْ "رجالِ" المدينةِ وعن محمود بالذّات .. ولكن كل الأخبار كانت سيئة ، بل وأسوأ من سيئة .. لقد قُتِلَ الرجال قرب المسجد ، واحتلَّ اليَهود البيوت بأثاثِها ومفارشِها وأسرَّتِها ومطابِخِها ، وكلّ ما فيها ، وجاءَ سُكَّانٌ يهودٌ من أنحاءِ العالمِ ليسكنُوا فيها .. إذنْ لا عودَةَ لأمِّ محمودٍ أو كِنَتِها أو أبنائها إلى اللدِّ . فكيفَ سيدبِّرُ كلّ هؤلاءِ أحوالَهم ومعيشتَهم ؟!

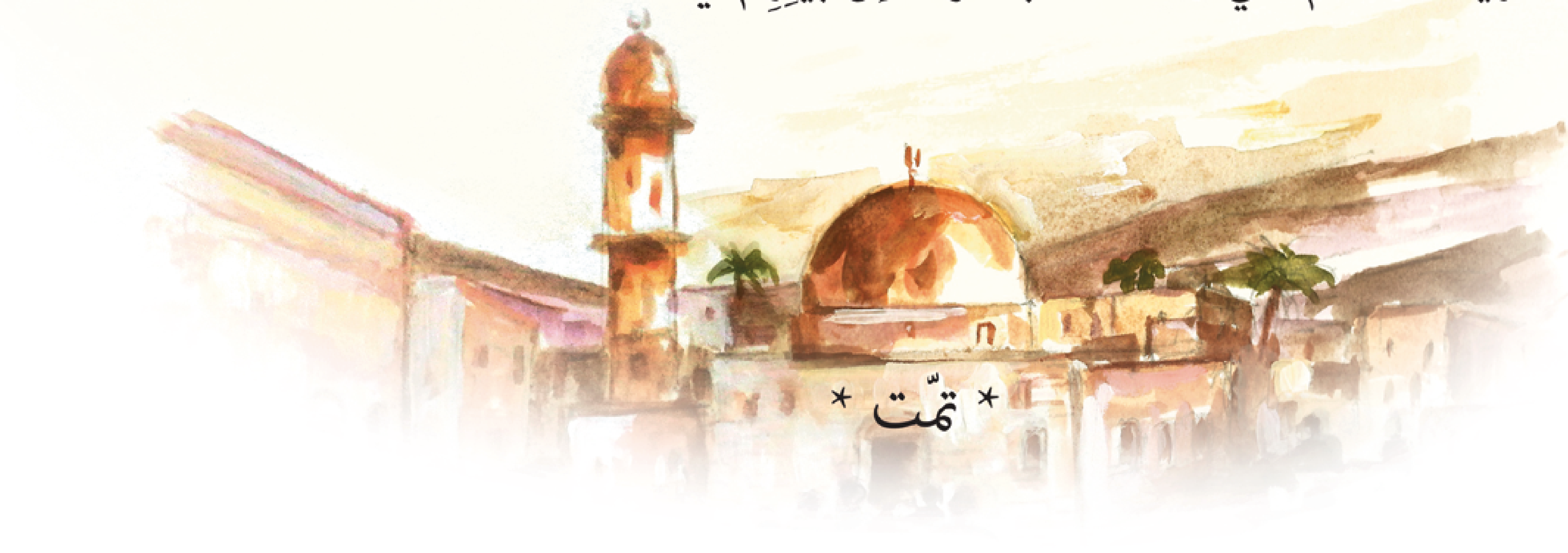
أمّا صاحبُ البيتِ ، والذي أنقذَ أمَّ محمودٍ فقد كانَ هو نفسهُ فقيرَ الحالِ ، لا يَجدُ إلا ما يسدُّ بهِ رمقَهِ ورمقَ عائلَتَهُ ، فمِن أينَ يُطعِم أو يَسقِي هذا العددَ الكبيرَ مِن النَّاسِ؟!

وضعَ يوسفُ يدَهُ على طاقيَّتِهِ وهوَ يبتسِمُ ، طاقيَّة جدَّتي أمّ محمود كانت مثل طاقيَّةِ الإخفاءِ .. كانتْ كُلّما حرّكَتها عن خصرِها وأخذتْ ليرةً من ليراتِها الذّهبيَّة ، انتعش الجميعُ وأكلُوا وشرِبوا لأكثرَ مِنْ شهرٍ.



لمْ تبخَلْ " أمّ محمودٍ" على صاحِبِ البيتِ القرويِّ وعلى حمارِهِ "المُنقذِ" . ولمْ تبخَل على عائلَتِهِ وعائلتها ..

بلْ إنّها بحسنِ تدبيرِها اشترتْ بيتاً صغيراً انتقلتْ إليهِ مع عائلتِها. وعاشتْ تشكرُ ربّها على نِعمِهِ التي لا تُعدّ ولا تُحصى ، ولكنَّها ظلَّت تذكُرُ مدينَتَها اللدِّ بجوامِعِها وكنيستِها وآبارِ المياهِ فيها ، و تذكرُ محطَّةَ السّكّةِ الحديدِيّةِ والخَانَ والسَّاحةَ والدّكاكين ..كأنَّها تَراهَا بِعينيْها الضّعيفتيْنِ أمامَها .. وظلَّت تَترحَّمُ على والِدها وتدعُو لزوجِها الشّهيد ، وتَحلُمُ هي وأحفادُها بالعودَة إلى بَيتِهِم في اللّد.



* تمّت *

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(17/ /1 / 2020)
9282 , 813
الفرخ ،روضة فهيم
طاقية من اللد / روضة فهيم الفرخ .- عمان: المؤلف، 2020
( ) ص .- (سلسلة في ذاكرة الزمان والمكان ؛2)
ر.إ. : 17 / 1 / 2020
الواصفات : /القصص العربية//أدب الأطفال//الأدب العربي/



الأديبة

روضة الفرخ الهدهد

صدر للمؤلفة الكتب التالية للاطفال :

- سلسلة حكايات بطولية للأطفال (1-26) تناسب الطلاب من الصف الرابع.
- سلسلة حكايات الغول (1-3) تناسب الطلاب من الصف الثاني.
- سلسلة قصص الصحابة (1-2) تناسب الطلاب من الصف الرابع.
- سلسلة المسرح للأطفال (1-8) قدمت على المسارح الأردنية .
- كتب الطفولة المبكرة (1-5) تناسب الطلاب من الصف الأول الأساسي.
- سلسلة حكايات علمية وأخرى (1-8) تناسب الطلاب من الصف الرابع .

كما صدر للمؤلفة :

- كتاب اليافاوية باللغتين : العربي والإنجليزي سيرة ذاتية (1).
- كتاب من يافا إلى عمان مع المحبة "سيرة ذاتية " سيرة ذاتية (2).
- كتاب ثقافة الأطفال في الأردن.

تصفح السيرة الذاتية واقرأ الكتب على موقع الكاتبة

Website: www.rawdahudhud.com
E-mail: rawdahudhud@msn.com

تطلب الكتب من دار كندة :

Tel: +96265929282 Fax: +96265922145
P.O.Box: 815331 Amman 11180 Jordan